قمحي الغني عن التعريف ، وقس على ذلك .. فاذا ما تركنا المحررين لنتناول المعلنين ، وجدنا الشركات والمتاجر اليهودية تلعب دورا حيويا في تمويل الصحف عن طريق حقنها بالاعلانات . واخيرا ولاكمال الصورة ، علينا ان نتذكر بان الصحفي البريطاني غير الصهيوني الذي يعلم جيدا بان نسبة غير قليلة من قرائه الانكليز تشاطر الصهيونيين كراهيتهم للعرب ، هذا الصحفي لن يشعر بتأنيب الضمير الزائد ان هو حابى اسرائيل على حساب العرب . فهو ببساطة يعكس بموقفه هذا اتجاهات الرأي العام في بلده .

ويخطىء من يظن بان الصحافة الغربية تعتنق ذلك الرأي المثالي القائل بان واجب الصحافة المسؤولة يحتم عليها ان تقود الرأي العام ، لا ان تلهث وراءه ، فتتهافت على عكس اهوائه ومواقفه الخاطئة . بل ان هذه الصحافة لم تكتف بعدم تنوير قرائها ، بل تعمدت تضليلهم في بعض الحالات . ولدينا مثال على ذلك في أزمة الطاقة الراهنة : فعلى مدى سنوات دأبت هذه الصحف على ترديد اقتناعها بان العرب لا يستطيعون شرب نفطهم ، ولذا فهم مجبرون على بيعه للغرب ، مهما كان موقف هذا الغرب معاديا لهم ، ومؤيدا لعدوتهم الاولى اسرائيل . اما الاصوات المحذرة التي كانت تقول : «يجب عدم الانسياق وراء هذا الرأي المغالط ، فبامكان العرب ان يضغطوا على الغرب ، ويضروا باقتصاده ضررا بالغا ، دونما الحاجة الى اقفال حنفية النفط » .. هذه الاصوات بقيت ضعيفة وقليلة ، وذلك لان الصحف لم تفسح لها المجال الكافي كي تترك الاثر المطلوب في أذهان الغربيين . وكانت النتيجة ان وقعت المفاجأة الكبرى التي ما كان يجب أن تعتبر مفاجأة : فالعرب لم يشربوا نفطهم ، وانما ضاعفوا سعره .

اين اذن كانت الصحف الغربية بكل خبرائها واختصاصييها في النفط والسياسة والاستراتيجية العليا ، ناهيك عن الخبراء في السيكولوجيا العربية ؟ ولماذا تقاعست هذه الصحف عن التحذير من مغبة السير في الركاب الصهيوني على حساب المصالح الغربية الحيوية ؟ ولماذا تواطأت مع القوى الصهيونية في الاستخفاف بالانذارات العربية المتعددة ؟ الا يرتسم هذا الموقف المشبوه علامات الاستفهام والتعجب حول اتجاهاتها المتناقضة تماما مع مصالح شعوبها ؟

لقد رأينا من سياق عرضنا الملخص لتركيبة الصحيفة البريطانية بأن اتجاهها حيال القضية الفلسطينية (والعرب عموما) كان وليد التوافق بين رغبة كل من المعلن والمحرر والقارىء . الا أن ذلك كان قبل أزمة الطاقة ، ولذا يصعب الحكم على مؤشرات الاتجاه القادم في الوقت الحاضر . ولكن قد تتبلور ملامح الاتجاه الجديد خلال العام الحالي ، وتكتسب وضوحا أكبر في العام المقبل ، عندما قد ترتفع أصوات جريئة لتندد بخنوع الصحافة البريطانية امام الضغوط الصهيونية . اما في الوقت الحاضر ، فلا يوجد أي رئيس تحرير بريطاني على استعداد لان يعترف بأن المعلن يملي عليه ارادته ، أو ان المحرر ، بسبب انتمائه الديني ، أو علاقاته العاطفية ، أو احتياجاته المادية ، يؤيد اسرائيل على حساب العرب . انه قد يتحدث عن ذلك بحرية في مجالسه الخاصة ، اما التصريح بذلك علانية ، فأمر يبدو انه لا يتفق مع المثل الانكليزية العليا ، كما يجد من يقرأ كتاب المستر ونتور . فمع ان رئيس تحرير الايفننغ ستاندرد يقر بوجود محاولات للضغط على الصحافة ، وخاصة من قبل النقابات العمالية ، الا انه يشدد على القول بأنها جميعا باءت بالفشل . فلما ذكره الكاتب الحالي بالمقالين المنشورين في مجلة ذي ليسنر ، وبوقائع أخرى تدل على وجود الضغط الصريح ، وذلك في رسالة شخصية أرسلها اليه ، أجاب ونتور برسالة قصيرة قال فيها ان الامر ليس بالبساطة التي يتصورها الكاتب الحالي . الا انه على كل حال وعد بالاطلاع على مقالي ذي ليسنر ،